إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ

اســــم الكتـــاب: إن ربـــــي لطيـــــف

التـأليـــــــف: عبـــد الـــرحمن مســـعد

تــدقيق وإخــراج فنــي: سـالم عبـد المعـز سـواح (عمـرو سـواح)

رقـــم الإيـــداع: 2021 / 28741

الترقـــيم الـــدولي: 978-977-835-278-8

الناشـــــــــــر: دار زحمة كُتَّاب للنشر والتوزيع

١٥ ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة – مصر

دار زحمة كتاب للنشر

Facebook

Email za7ma-kotab@gmail.com

Tel 002 01205100596

002 01100662595

إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ

لُطف الله يُحيطنا دائمًا دون أن نُدرِك
فحتى لحظتك هذه.. لم يخطئك فيها لُطف الله

عبد الرحمن مسعد

الإهداء

إلى الذين -رُغم الحزن والألم، ورُغم ضيق أبواب الفرح، ورغم طول البلاء- ما زالوا يؤمنون أن أبواب رحمة الله لا تُغلق، وأن لُطفه يُحيطنا دون أن نشعُر.. أهديكم هذا الكتاب.

وإني لأجتهد ، فإن أصبت فمن الله

وإن أخطأت فمني ، والله غفور رحيم .

مُقَدِّمَة

كلما مَرَّت بوجهي نسمةُ هواء رائقة تُلامِسه بودٍّ أقول: "كم هي لطيفة"، وحينما أتعرف على أحدهم وأرى فيه دماثة الأخلاق وعذوبة الحديث أقول: "يا له من شخص لطيف".

هكذا وضع الله محبة تلك الصفة بشكلٍ خاص في قلبي حتى باتت تطفو على لساني كلما شعرت بطمأنينةٍ تسكن جسدي، ولم أنتبه يومًا على الإطلاق إلى علاقة تلك الصفة الحسنة الغالبة لديَّ على سائر الصفات باسم الله "اللطيف" كامل الصفات، حتى حدث وتنبهت ذات يومٍ لذلك حينما كنت أصفُ حيًّا سكنيًّا هادئًا لم أزره من قبل، وفي ذات اللحظة وأنا أصفه باللطيف علا صوت مذياع من أحد المحلات على الآية الكريمة:

﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ ﴾ [الشورى: ١٩]

فتجمد الدم في عروقي خجلًا وخشية، وشعرت بالذنب وتأنيب الضمير لاستخدامي المتكرر لاسم من أسماء الله الحسنى في وصف كل ما هَبَّ ودَبّ.

عدت يومها إلى المنزل مشغولًا متلهفًا على الانفراد بنفسي كي أجلس معها كما اعتدت لنتناقش في كلِّ أمرٍ شائك أو مُحَيِّر، فجلست أتأمل الاسم، وانتبهت أولًا للألف واللام اللذين يحولان كل نكرةٍ إلى معرفة، فحمدته سبحانه الذي وحده له كامل المعرفة على عدم استخدامي يومًا حَرْفَيّ التعريف قبل وصف شيء بصفة اللطف، ثم بحثت عن معنى اسم اللطيف فوجدته في اللغة من صيغ المبالغة التي تُستخدم لإثبات بلوغ شيء في شدته إلى حدٍّ بعيدٍ لا تدركه العقول، فكان الله اللطيف كامل الصفات هو كامل اللطف؛ الذي يعلم دقائق الأمور وخفاياها، وما في الضمائر والصدور، والذي يحسن إلى عباده ويلطف بهم من حيث لا يحتسبون، أو كما قال ابن القيم عن اسم "اللطيف":

وهـــو اللطيــف بعبــده ولعبــده * واللطـــف في أوصـــافه نـوعـــانِ

إدراك أســـرار الأمـــور بخـــُبره * واللـــطف عنـد مواقـع الإحــسانِ

فيـــُريك عزتــه ويُبــدي لطـــفه * والعبـد في الغفـلات عـن ذا الشـانِ

*****

الله الذي ليس كمثله شيء، والذي يتصف بأقصى ما يمكن من الكمال، هو الألطف الذي لا يضاهيه كائن ما كان، ولو جُمِع لُطف كل ما على الأرض من جماد وأحياء لما كان للطفهم قيمة مثقال ذرة في فضاء لُطف اللطيف.

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٠٣﴾

[الأنعام: ١٠٣]

فكما أنه تعالى لا تدركه الأبصار، فحجم عطائه لا تدركة العقول.
فاملأ قلبك باليقين به، فإنك لا تدري كيف يأتي الفرج.

"اللطيف هو الذي إذا ناديته لبّاك، وإذا قصدته أواك، وإذا أحببته أدناك، وإذا أطعته كفاك، وإذا عصيته عافاك، وإذا أعرضت عنه دعاك، وإذا قربت منه هداك".

الشعراوي.

اللطيف هو مَن عطاؤه خيره، ومنعه ذخيرة.

اللطيف هو مَن افتخر به أعزه، ومن افتقر إليه أغناه.

معنى اسم اللطيف

اللطيف من أسماء الله الحسنى.. وله عدة معانٍ في اللغة:

الأول: الرفق.

تقول العرب: لطف الله لك، أي أوصل إليك ما تُحب برفق.

جاء في الحديث أن الرسول ﷺ قال: "إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله"

متفق عليه.

والرفق هو لين الجانب ولطافة الفعل.

وقد يأتي بمعنى التمهل والتأني في الأمور.

وهو ضد العنف.

فالله ﷻ رفيق يحب الرفق، وهذا ما علّمه لرسوله ﷺ.. لذا فإن مظاهر الرفق كثيرة في السيرة النبوية.. حتى أن الإمام البخاري - رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أطلقه على أحد أبواب صحيحه

-صحيح البخاري- مسمّى: (باب الرفق في الأمر كله).

ومن القصص التي أستشعر فيها رفق الرسول ﷺ

أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ.

وعلّم الله الرفق أيضًا لموسى عليه السلام عندما أمره بالذهاب لفرعون.. رغم أن فرعون قد طغى وتجبر.. وهذا بنص القرآن..

الله سبحانه يقول ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ ﴾ [طه: ٤٣]

ومعنى طغى: أي أنه تمرد وعتا وعصا الله - إلا أن الله أوصى موسى وهارون أن يقولا له قولًا لينًا.

﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝٤٤ ﴾ [طه: ٤٤]

لا شك أن مواعظ الأنبياء تصل للقلوب لسلامة النية، وصدق المعتقد، وقوة البلاغة.. ولكن ما استوقفني "لينًا" يدل هذا على أن مهما كان الموقف ومهما كان الحدث فإن الكلام اللطيف اللين يصل للقلوب، ويكون أوقع في النفوس من غيره

كما قال تعالى:

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾

[النحل: ١٢٥].

قال الرسول ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفقَ، وَيُعْطِي على الرِّفق ما لا يُعطي عَلى العُنفِ، وَما لا يُعْطِي عَلى مَا سِوَاهُ".

رواه مسلم.

ولنا في القصص التي حدثت في الأمم السابقة خير مثال.. مثل القصة المعروفة التي قالها الرسول ﷺ عن الرجل الذي غفر الله له لأنه سقى كلبًا.. فسأله الصحابة: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجرًا؟ قال: في كل كبدٍ رطبة أجر.

والمعنى أن كل شيءٍ فيه روح يُحسن الإنسان إليه فإن الله يجازيه عنه، وعبّر بالكبد لأنه العضو الذي يحتاج إلى الماء، فإذا يبس هلك الحيوان.

استشعر في هذا الحديث أن من أعظم القربات هي سُقيا الماء، وقد غفر الله لرجل سقى كلبًا.. فلا شك أن سقي بني آدم أعظم أجرًا.

واستشعر أيضًا التنفير من الإساءة إلى البهائم والحيوان، لأن الله يحب الرفق حتى مع البهائم والحيوان.

ولنا في السلف خير مثال، فقد كانوا يخافون من ظلم الحيوان وكانو يرفقون بهم.

يقول معاوية بن قرة:

"كان لأبي الدرداء جمل يقال له: الدمون، فلما كان عند الموت قال: يا "دمون" لا تخاصمني عند ربي؛ فإني لم أكن أحمل عليك إلا ما كنت تطيق!".

❖(رواه ابن أبي الدنيا بسند صحيح)❖

ويقول المسيب بن دار:

رأيتُ عمر بن الخطاب ضربَ جمّالًا، وقال لمَ تحمِلُ على بعيرك ما لا يُطيقُ؟

راوه ابن سعد في الطبقات (١٢٧/ ١)

قال الرسول ﷺ:

"إن الرِّفقَ لا يَكُونُ في شيءٍ إلَّا زَانَهُ، وَلا يُنزع من شيء إلَّا شَانَهُ"

رَكِبت عائشَةُ بَعيرًا، فكانتْ فيهِ صُعوبةٌ، فجَعلت تُردِّدُه[1]، أي: تَمنَعُه وتَدفعُه بشِدَّةٍ وعُنفٍ، فأَمرَها النَّبيُّ ﷺ بالرِّفق، قائلًا لها: "عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَكُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ ".

فصاحب الرفق يدرك حاجته أو بعضها، أما صاحب العنف فلا يدركها وإن أدركها فبمشقة.

قال الرسول ﷺ:

"من يُحرمِ الرِّفق يُحرم الخيرَ كُلَّه"

الرفق بالناس، والرفق في الأمور، واللين والتيسير من جواهر عقود الأخلاق الإسلامية، وهي من صفات الكمال، والله ﷻ رفيق، يحب من عباده الرفق.

الرفق هو القوة الناعمة في التغيير.. وبه تصل للقلوب.

---

[1] معنى تردده: تجعله يسير ثم تُوقِفُه بشدَّة، وتكرِّر ذلك عدَّة مرات، وفي ذلك قسوة علي البعير وشدة.

والمعنى الآخر لاسم الله اللطيف هو: التوفيق والعصمة.

تقول العرب: لطف الله به. أي وفقه وعصمة.

ما الصلة بين "اللطف" وبين "التوفيق" و"العصمة"؟

إن اللطف هو ما يبعث ويحفز الإنسان على فعل الطاعة وينهاه عن فعل المعصية.

فإذا استجاب الإنسان لهذا التحفيز وفعل الطاعة فسيطلق على هذا اللطف اسم "التوفيق".

وإذا استجاب الإنسان لهذا التحفيز وترك فعل المعصية فسيطلق على هذا اللطف اسم"العصمة".

ومن أول أسباب التوفيق هي أن تجعل رضا الله نصب عينك.. وأن تبتعد عن كل ما يغضب الله ﷻ.

الدعاء أيضًا هو باب التوفيق الأعظم، جاء في تراجم كثير من العلماء أنهم كانوا كثيري الدعاء.

ومن أسباب التوفيق رضا الوالدين والبر بهما.

قال أحدهم إن من علامات التوفيق:

أنْ يجعلك الله ملجأ للنّاس
تُفرج همًّا، تُنفس كربًا، تُعين ملهوفًا
تنصح حائرًا، تُساعد مُحتاجًا
مثل هذا لا يُخزيه الله أبدًا
فمن أحسن إلى عباد الله
كان الله إليه بكل خير أسرع

فالتوفيق من عند الله وحده، ولا يوفق الله إلا من علم أن فيه خيرًا.

قال أحدهم:

اللطيف هو الذي يلطف بعبده في أموره الداخلية المتعلقة بنفسه، ويلطف بعبده في الأمور الخارجية عنه، فيسوقه ويسوق إليه ما به صلاحه من حيث لا يشعر.

وهذا من آثار علم الله وكرمه، ورحمته.

استدل الخطابي بقول الله:

﴿ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩ ﴾

[الشورى: ١٩]، على أن اللطيف الذي يتلطف بعباده، ويرحم ضعفهم، الذي يعطيهم من فضله، ويرزقهم دون دراية منهم، وهو الذي يقضي حوائجهم ومصالحهم.

وقال الشوكاني:

معنى اسم الله اللطيف أنه تعالى يعلم ما يكن في صدور الخلق ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهو العليم الخبير.

لُطف الله بأهل الكهف

﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴾

[الكهف: ١٤]

فلطفَ الله بهم فصبرهم وجعل قلوبهم مطمئنة في تلك الحالة المزعجة، فهذا من تمام لطف الله بهم أن وفقهم للإيمان، وصبرهم وطمأن قلوبهم.

لُطف اللّه بنبيه داود عليه السلام.

﴿ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ ﴾

[ص: ٢٤-٢٥]

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله:

((وهذا الذنب الذي صدر من داود عليه السلام، لم يذكُره الله لعدم الحاجة إلى ذكره، فالتعرض له من باب التكلف، وإنما الفائدة ما قصّه الله علينا من لُطفه به، وتوبته وإنابته، وأنه ارتفع محله، فكان بعد التوبة أحسن منه قبلها))[١].

---

١ تيسير كريم الرحمن – ص٧١١

لُطف اللّه بيونس عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما خرج يونس -عَلَيْهِ السَّلَامُ- من نينوى، ظنّ أن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لن يؤاخذه بهذا الخروج؛ لأنه قدّم كلّ ما عليه في سبيل الدعوة لقومه، ولكن لم يستجب أحد، فأقبل على قومٍ وركب معهم سفينتهم، فلمّا وصلت بهم جميعًا إلى عُرض البحر، تمايلت السفينة واضطربت، فلم يجدوا سبيلًا للخلاص إلا أن يلقوا بأحدهم في البحر؛ تخفيفًا للحِمل، فاقترعوا على من يُلقي بنفسه في البحر، فخرج سهم يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلمّا التمسوا فيه الخير والصلاح، لم يحبّذوا أن يُلقي بنفسه في البحر، فأعادوا القرعة ثلاث مرّات، وكان في كل مرة يخرج سهم يونس -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ، فلم يجد يونس -عَلَيْهِ السَّلَامُ- إلّا أن يلقي نفسه في البحر، وظنّ أن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- سيُنجيه من الغرق، وبالفعل فقد أقبل إليه حوت أرسله الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فالتقمه.

عندما نتأمل القصه نجد أن هناك جانبًا خفيًّا من لطف الله بيونس.. وهو أن أرسل الحوت ليلتقمه وينجيه؛ فلم تكسر له يد ولا رجل، ولم يصبه مكروه.

بقي يونس عليه السلام في بطن الحوت ثلاثة أيام، سمع فيها أصواتًا غريبة، فأوحى الله إليه أنها أصوات تسبيح مخلوقات البحر.

ثم يقول الله تعالى:

﴿ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الصافات: ١٤٦]

تظله بظلها الظليل، لأنها بادرة وباردة الظلال، ولا يسقط عليها ذباب، وهذا من لطف الله به.

ثم لطف به لطفًا آخر، وهو أنه أرسله إلى مئة ألف من الناس.. أو أكثر من ذلك.

﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [الصافات: ١٤٧]

فدعاهم إلى الله تعالى.. فآمنوا.. فصاروا في موازين حسناته لأنه هو الداعي لهم.

﴿ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [الصافات: ١٤٨]

فصرف الله عنهم العذاب بعد أن انعقدت جميع أسبابه.

يقول الله تعالى:

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾ [يونس: ٩٨]

استشعر لطف الله في قصة يونس، واستشعر أيضًا أن الصبر هو طريق تحقيق الغايات، فإذا كان على الفرد أن يصبر ويحتسب فمن باب أولى أن يصبر ويحتسب من يدعو إلى الله.

لُطف اللّه بالوالدين

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٥]

يقول العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(هذا من لطفه تعالى بعباده وشكره للوالدين أن وصّى الأولاد وعهد إليهم أن يحسنوا إلى والديهم بالقول اللطيف والكلام اللين وبذل المال والنفقة وغير ذلك من وجوه الإحسان)[١]

---

[١] ((تيسر كريم الرحمن))

"معنى اسم الله اللطيف أنه هو الذي يحسن لخلقه وعباده وهم لا يعلمون، ويرزقهم من الخيرات ومما يشتهون".

- أبو إسحاق الزجاج

"اسم اللطيف يتحمل معنى الحكمة والإلمام بكل الأشياء العميقة، واللطف والرحمة بالعباد بكافة الطرق فما تحسبه أنت صدفة هو تدبير من الله ﷻ ولطفًا منه لأنه يحبك".

ابن القيم

قال السعدي:

يتجلى معنى اسم الله اللطيف أنه الذي وصل حد علمه اللطف بالعباد لأنه يعلم الغيب والنفس وما تحملها من أفكارٍ وهموم، والأرض وما فيها من البذور، ومن لطف الله بخلقه أنه يعطيهم بكرمه لا بعملهم، ويعطيهم ما يصلح لهم ويحتاجونه لا ما يريدونه لأن الإنسان لا يعلم الخير والشر له فيمكن أن يريد شرًّا فيمنعه الله عنه ويحسبه هو خيرًا ولا يعلم حجم الحكمة واللطف وراء ذلك وقال تعالى في كتابه العزيز:

﴿ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩ ﴾

[الشورى: ١٩].

من أجمل ما سمعت للشيخ للشعراوي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- عندما تحدث عن تفسير قول الله تعالى ﴿ لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ ﴾ [يوسف: ١٠٠]:

"يعني اللي يعوزه يعمله، لطيف هو المدبر تدبير ما يخفاش عليه خافية أبدًا"

"فالله لطيفٌ بعباده، رحيمٌ بهم، يعلم أدق حالهم، ويعلم ما خفي في صدورهم، لا يعجزه شيء، يعاملهم برحمته وعطفه، مهما بلغ منهم من تقصير، ويدعو المخالفين إلى المسارعة في التوبة والغفران".

فسبحانه أثبت على نفسه صفة اللطيف، في قوله:

﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٠٣ ﴾

[الأنعام: ١٠٣]

استشعار اللُّطْف

من نعم الله علينا استشعار لطف الله في تفاصيل حياتنا، أن أكون مؤمنًا بأن لله حكمةً مهما عظمتْ في عيني الظروف، حتى وإن غابت عني هذه الحكمة فعلى الأقل أقضي حياتي مؤمنًا بوجودها، لا شيء يعادل الإيمان بأن الله لا يفعل شيئًا سيئًا أبدًا، وأن الله حكيم، لطيف، رحيم.

أحب الإنسان الفطن، الذي لا تمر به الشدائد دون استنباط الحكمة واستلذاذ الرحمة واستشعار اللُّطف.

إن حظ المؤمن - في عبادة الله والقُرب منه، واستشعار معيته وألطافه- عظيم؛ ففي الدنيا طمأنينة ورحمة، وفي الآخرة درجات وجنة.

الحمد لله أن القلب يتقلّب مستشعرًا مدده، وعظيم فضله.

يعلمهُ اللّه

من معاني اللطف أن الله يعلم ما في صدورنا.

يقول الله ﷻ:

﴿ قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ ﴾

[آل عمران: ٢٩]

فعندما نقوم بالعبادات والأعمال الصالحة لا بد أن ننتبه لما هو داخل الصدور؛ ألا وهي النية.

"عندما تتعامل مع الله اصدق مع الله".

فعندما نتأمل أول من يدخل جهنم يوم القيامة سنجد أنهم قارئ القرآن، والمجاهد، والمتصدق، الذين لم يخلصوا النية لله ﷻ. ولكن لو أخلصوا في نواياهم

- لقيل لقارئ القرآن اقرأ وارتقِ ورتل:

ما رواه أبو داود والترمذي والنسائي وأحمد كلهم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺقال: "يقال لقارئ القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها".

- ولو أخلص المجاهد نيته لله، لرأى مقعده من الجنة، ووضع على رأسه تاج الوقار، ولشفع لسبعين من أهله.

للشهيد عند الله ست خصال، روى الترمذي في سننه من حديث المقدام بن معدي كرب قال: قال رسول الله ﷺ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أول دَفْعَةٍ، وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ، اليَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ».

- ولو أخلص المتصدق نيته لله؛ لاستظل بصدقته يوم القيامة:

جاء في الصحيحين عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ، قال: "سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظله "، وذكر من هؤلاء السبعة: "ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه".

لذلك عليكم بالصدق مع الله وحسن النية.

من لُطفه

يتولانا بلُطفه فيخرجنا من ظلمات الجهل والكفر والبدع إلى نور العلم والإيمان.

يقينا من أنفسنا الإمارة بالسوء.. فيوفقنا لنهي النفس عن الهوى، ويصرف عنا السوء والفحشاء رغم توافر أسباب الفتن وجواذب المعاصي والشهوات، فيمّن علينا بلطفه ونور إيمانه ويدعونا إليه.

يقدر لنا الأرزاق بعلمه وحكمته لا بحسب مرادنا.. وهذا هو منتهى اللطف.. فقد نريد شيئًا وما يريده الله هو أصلح لنا، فيقدر لنا الأصلح -وإن كرهناه- لطفًا بنا.

﴿ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩ ﴾

[الشورى: ١٩]

ومن لُطفه بعباده أن يقدر عليهم أنواعًا من المصائب والمحن.. ليوصلهم إلى الكمال والنعيم.

من لُطفه بنا أن يقدر علينا بعض المصائب ويوفقنا للصبر عليها.. فننال رفيع الدرجات وعالي الرتب.

حتى مشاعر انتظار الفرج وكشف الضر هي من لُطف الله.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٤]

يدرك أسرار الأمور وخفايا الصدور وخبايا السماوات والأرض.

يوسف عليه السلام

من منّا لا يعرف قصة يوسف عليه السلام أو قرأ سورة يوسف.. تلك السورة يقول عطاء بن أبي رباح عنها: لا يسمع سورة يوسف محزونٌ إلا استراح".

تلك السورة التي نزلت في عام الحزن، وهي السورة الوحيدة التي تحكي قصة نبي كاملة..

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ [يوسف: ٣]

تبدأ بحلم وتنتهي بتحقيق الحلم، وهدفها أن تدرك أن الله لا يضيع أجر المحسنين.

﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾

[يوسف: ٩٠]

عندما نقرأ في تفسير القصة نرى أن المصائب والمحن اشتدت على يوسف عليه السلام وهو في سنٍّ مبكرة من حياته.

يحسده إخوته ويبعدونه عن أبيه، ثم يلقونه في البئر، ثم يباع بثمن بخس، ثم يتهمونه بالسرقة.

ابتلاء وراء الآخر لا يكاد أن يلفظ أنفاسه، ومع ذلك لم ييأس من رحمة الله ولُطفه لأنه يتصبر بأن الفرج قريب.

إن ربي لطيف، قالها بعد أن رماه إخوته في البئر حقدًا، ثم عاش في طفولته وشبابه خادمًا في بلد غريب، ثم تآمرت عليه نسوة المدينة فسُجن سبع سنين ظلمًا!

ذكر المفسرون أن يوسف عليه السلام غاب عن أبيه ٤٠ سنة وهو ينتظر الفرج ولم ييأس من رحمة الله.

كاد أن يموت عليه السلام في البئر وفي آخر لحظة أنقذه الله عز وجل، كان بالإمكان أن يباع لأي بيت لكن يقدر الله أن يباع لبيت عزيز مصر.

يعيش سنوات كاد أن يفتن في دينه فيحفظه الله ويثبته. ثم يدخل السجن ويظل فيه لبضع سنين فينقذه الله عندما فسر رؤيا ملك مصر حيث أن الله علّم سيدنا يوسف عليه السلام تأويل الأحاديث وتفسير الرؤيا، ولهذا قال عليه السلام:

﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ﴾ [يوسف: ١٠٠]

أي أن هذه الأشياء التي حصلت لطفٌ لطفه الله له فاعترف عليه السلام بهذه النعمة.

فكل ذلك كان من لطف الله بيوسف عليه السلام.. فمهما اشتد البلاء وكثرت المحن فلا بد لِلُطف الله أن يكون حاضرًا، وإن البلاء مهما طال فهو إلى زوال.

وعندما نتأمل حال يعقوب عليه السلام نجد أنه شيخ كبير أعمى

﴿ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ ﴾ [يوسف: ٨٤]

يبكي في الليل والنهار على فراق ابنه وهو محزون ومهموم.

كان أبو بكر يبكي إذا قرأ ﴿ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ ﴾ [يوسف: ٨٤] في صلاة الفجر ويُبكي الناس.

وعمر كان إذا صلى بسورة يوسف يعرف الناس أنه إذا بلغ آية ﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [يوسف: ٨٦] فسيبكي ويُبكي من خلفه من الناس.

قال ابن القيم:

"من تأمل أقدار الرب تعالى وجريانها في الخَلْق علم أنها واقعة في أليق الأوقات بها".

يا من أصابك هم أو غم أو حزن.. تأكد أن الفرج قريب.. وأن لُطف الله يُحيطك وأنت لا تشعر.. وتأكد مهما طال البلاء فإنه زائل، واستشعر خيرًا رغم ما يحدث.

﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝٨٧ ﴾

[يوسف: ٨٧]

لا تخف ولا تحزن فكل شيء مُقدر

وعلى قدر البلاء يأتي اللُطف

العفو

قصة يوسف فيها الكثير من العبر والفوائد.. ولا نكاد نفسر آية من السورة إلا ونجد فيها كمًّا كبيرًا من المعلومات.

شخصيًّا استوقفني موقف لسيدنا يوسف في نهاية القصة وهو عفوه عن إخوته.. عندما قال لهم:

﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [يوسف: ٩٢]

وعندما اجتمع مع أبويه وإخوته قال:

﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ ﴾ [يوسف: ١٠٠]

من الذي أدخله السجن؟ عزيز مصر

من الذي ألقاه في البئر؟ إخوته

لذلك لم يذكر حاله في البئر.. لم يقل وقد أحسن بي إذ أخرجني من البئر.. لأنه قرر أن يعفو عن إخوته.

قرر العفو عن إخوته، وألا يذكّرهم بالذنب.

وهذا من مروءة يوسف عليه السلام أنه يحافظ على مشاعر مَن حوله، رغم أنهم لم يحافظوا على مشاعره وتآمروا على قتله ثم قرروا أن يلقوه في الجُب.

ثم في المقابل تجد يوسف بالعفو تمام العفو:

﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [يوسف: ٩٢]

﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ ﴾ [يوسف: ١٠٠]

رغم أنه قادر على أن يوقع بهم العقوبة فهو اليوم عزيز مصر!

﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى: ٤٠]

ما أجمل العفو عند المقدرة!

إن ربي لطيف

فمن معاني اسم الله اللطيف الذي كان واضحًا في سورة يوسف أن لُطف الله الخفي ينُجي عبده بأخفى الأمور!

مَن كان يظن أن قميصًا ممزقًا سينجي يوسف عليه السلام من تهمة كبيرة؟

وأن انحراف مسار قافلة في الطريق سيكون السبب في خروج يوسف عليه السلام من البئر؟

وأن رؤيا منامية يراها الملك ستكون السبب في خروج يوسف عليه السلام من السجن؟

فثق بالله وتيقن.. إن ربي لطيف.

"إن ربي لطيف"

اللطف في المصيبة

كنت أتحدث مع أحد الأصدقاء عن أغرب المواقف التي تعرضنا لها في حياتنا فأخبرني أنه في سن الخامسة من عمره كان راكبًا في سيارة مسرعة فإذا به يفتح بابها بالخطأ ويسقط منها على الأرض. العجيب في الأمر أنه لم يُصيبه مكروه.

ويخبرني آخر أنه أتم حفظ القرآن الكريم، وكان هناك اختبار مفاجئ وكان متخوفًا منه لأنه انشغل في وفاة أحد أقاربه.. فذهب للاختبار.. وبعد إعلان درجات الاختبار تفاجأ أنه من أعلى الدرجات.

والكثير من القصص التي نتفاجأ بها ونكاد لا نصدقها.. ولكن الرابط بينها كلها أن لُطف ربي ليس شرطًا أن يمنع المصيبة بل قد يكون في المصيبة ذاتها.

فلولا لُطف الله في القصة الأولى لما كان هذا الشخص حيًّا يُرزق الآن ويخبرني بهذه القصة.

فليس شرطًا أن يكون لُطف الله في أن يمنع المُصيبة، فاللُّطف نوعان:

- لطف ظاهر: وهو ألا تقع المصيبة بالعبد.

- لطف خفي: أن تقع المصيبة ويكون معها الرضا.

كل ما في الأمر أن تُسلم أمرك لله وتعلم أن ربي لا يفعل شيئًا إلا لحكمه وأن المُصيبة لا تقع إلا ولُطف الله قد وقع قبلها.

قال حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه-: أن الله لم يخلق شيئًا إلا صغيرًا ثم يكبر، إلا المصيبة، فإنه خلقها كبيرة ثم تصغر. وهذا من نعم الله علينا وتمام لُطفه سبحانه وتعالى.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الحج: ٦٣]

لطيف بعباده حيث أنزل لهم المطر، وأنبت لهم الأرض، خبير بمصالحهم، لا يخفى عليه شيء منها.

حسن الظن

قال لي أحدهم ذات مرة رغم أنه مجتهد وله سجل جميل من الدرجات العُليا.. إنه يخشى اختبار الأسبوع المقبل وإنه يخشى أن يواجه صعوبات في الاختبار وإن هذا الأمر يؤرقه بشدة وقد لا ينام ليلة الاختبار.

قلت له:

يا صديقي لماذا تتوقع البلاء قبل وقوعه؟ لماذا تتوقع المشكلات قبل أن تقع؟ رُبما يُلغى الاختبار.. رُبما تذهب وتحصل مشكلة ولا تختبر.. رُبما تختبر وتُجيب بشكل ممتاز!

اعمل واجتهد واترك الأمر لله ولا تتوقع السيئ ما دامتَ فعلتَ ما بوسعك.

ألم يوفقك الله فيما مضى؟

إذًا لماذا تخاف القادم؟ يا صديقي اطمئن.

لا تتوقع المشكلات أبدًا.. وظن بالله دائمًا حسن الظن.. فأنت حين تتوقع المُصيبة تنسى أن لُطف الله ينزل معها.. اطمئن.

"أكثر ما يُخاف لا يكون"

ومعناه أن كثيرًا مما يتخوفه الناس لا يقع!

فلماذا نتوقع الشر قبل وقوعه وهو قد لا يقع أصلًا!

قال أحدهم:

وقلت لقلبي إن نزا بك نزوة من الهم افرح، أكثر الروعِ باطله

حتى وإن جاءك حدث أو سمعت بمصيبة.. فتمهل ولا تحزن.. فإن كثيرًا من الأخبار والتوقعات لا صحة لها.. وفوض أمرك لله فهو قادر على كل شيء.

وردد دائمًا:

﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٤٤ ﴾ [غافر: ٤٤]

فإن الله قال بعدها:

﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ ﴾ [غافر: ٤٥]

هذا الدعاء النبوي مُطمئن:
"يا حيّ يا قيّوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين"

حين تقوله من أعماقك مُستشعرًا تفويض أمورك لله بصغيرها وكبيرها، فتأكد أن الطمأنينة ستغمر قلبك.

صادق الوعد

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ ﴾

[مريم: ٥٤]

عندما نتأمل هذه الآية سيتبادر إلى أذهاننا سؤال.. لماذا إسماعيل عليه السلام بذاته هو الذي قال الله عنه (صادق الوعد).. لا شك أن كل الرسل صادقو الوعد.

أن تصدق الوعد.. أي تعطي أحدهم شيئًا أو تلتزم بموعد أو كلمة، لكن "صادق الوعد" هذه الصفة ليست في الجميع.. فكلنا قد يصدق الوعد في أمر يملكه.. لكن إسماعيل عليه السلام صدق الوعد في أمر يتعلق بنفسه وأمر رآه غيره. فلو أن إسماعيل عليه السلام هو من رأى أن أباه يذبحه.. كان الأمر سيكون سهلًا، لكنّ أباه هو من رأى الرؤيا.. والرؤيا لا يثبت بها حكم إلا عند الأنبياء، فكان رده

﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

[الصافات: ١٠٢]

وهذا هو الوعد..

﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الصافات: ١٠٣]

لم يحرك رقبته.. بل وفّى بالوعد.

لذلك كان إسماعيل صادق الوعد.. وبرزت هذه الصفة في إسماعيل عليه السلام أكثر من غيره، والله سبحانه وتعالى إذا مدح فإنه يختار من الصفات أعلاها شرفًا..

فقد قال عن نوح قال:

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ۝٣ ﴾ [الإسراء: ٣].

وقال عن أيوب:

﴿ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ۝٤٤ ﴾ [ص: ٤٤].

وقال عن يحيى:

﴿ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ ﴾ [مريم: ١٤].

وقال عن محمد صلى الله عليه وسلم:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤ ﴾ [القلم: ٤].

فلما رأى الله سبحانه وتعالى التسليم من الابن إسماعيل عليه السلام وتسليم أبيه إبراهيم.. قال:

﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ ﴾

[الصافات: ١٠٤-١٠٥]

أراد الله سبحانه اختبار التسليم وإقبالهما على الفعل.. ولم يُرِد الفعل.

ولذلك فدى الذبيح.. ورزق إبراهيم بإسحاق

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ ﴾ [الأنعام: ٨٤]

إن الإنسان إذا استسلم لقضاء الله وقدره فإن الله يرفع القدر أو يخففه، لكن الذي يطيل أمد البلاء على الناس أنهم لا يرضون به.

لكن الذي يرضى بالقدر.. يرفعه الله عنه.. أو يبين للمقدور عليه خير هذا القدر.

ولذلك فلابد للإنسان أن يحترم أقدار الله.

وهذا يعلمنّا أن كل ما ينزل علينا من قضاء الله.. لا رفع لها إلا بالرضا.

"ولا سبيل للرضا سوى أن تُدرِك أن الله لا يقدر لك إلا خيرًا، وأن ربي لطيف بك أكثر من نفسك.. اطمئن".

﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ﴾ [يوسف: ١٠٠]

في كل بلاء لطف، وفي كل بلاء نعمة.

وفي ذلك يقول ابن عطاء الله السكندري في حِكَمه:

من ظنَّ انفكاك لطفه عن قدره؛ فذلك لقصور نظره.

﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ﴾ [يوسف: ١٠٠]

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واسمه اللطيف يتضمن علمه بالأشياء الدقيقة وإيصاله الرحمة بالطرق الخفية.

سورة الضحى

هذا السورة لها مكانة خاصة في قلبي، أستشعر فيها لطف الله برسوله محمد ﷺ، بعد أن حزن الرسول ﷺ بسبب قول المشككين إن الله قد ترك نبيه وأبغضه بعد أن انقطع عنه الوحي، فنزلت هذه السورة.

يشدني فيها قسم الله بالضحى، وبظلمة الليل، وأن الله لطف بحال رسولنا ﷺ ورحمه وهداه وأغناه.

فسورة الضحى مكية، نزلت على رسول الله ﷺ تكذيبًا من الله لقريش في قولهم لرسول الله لما أبطأ عليه الوحي: قد ودّع محمدًا ربه وقلاه.

وفي الصحيحين أن النَّبِيُّ ﷺ، اشْتَكَى (مرض) فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَةً - أو لَيْلَتَيْنِ - فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ (من المشركين)، فقالت: يَا مُحَمَّدُ مَا أُرَى شَيْطَانَكَ إِلَّا قَدْ تَرَكَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ:

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾

[الضحى: ١-٣].

يخاطب الله نبيه محمد ﷺ بآيات عظيمة جدًّا -بعد أن أقسم قسمين- فيقول:

﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾ [الضحى: ٣]

وهذا جواب القسمين، ومعناه: ما تركك -يا محمد- ربك وما أبغضك بإبطاء الوحي عنك.

﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ ﴾ [الضحى: ٤]

أي أن الدار الآخرة خير لك من دار الدنيا، فلا تحزن على ما فاتك منها، فإن الذي لك عند الله خير لك منها.

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥ ﴾ [الضحى: ٥]

ولسوف يعطيك ربك -يا محمد- من أنوع الإنعام في الآخرة، فترضى بذلك.

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ ﴾ [الضحى: ٦]

يقول الله مذكرًا نعمه على نبيه: ألم يجدك يا محمد ربك يتيمًا فآوى، يقول: فجعل لك مأوى تأوي إليه، ومنزلا تنزله.

﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ ﴾ [الضحى: ٧]

ووجدك لا تدري ما الكتب ولا الإيمان، فعلمك ما لم تكن تعلم، ووفقك لأحسن الأعمال.

﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ ﴾ [الضحى: ٨]:

ووجدك فقيرًا فأغناك.

﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ ﴾ [الضحى: ٩]

يوصي الله نبيه بأن لا يظلم اليتيم، ويذهب بحقه، استضعافًا له.

﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ ﴾ [الضحى: ١٠]

وأما من سألك حاجةً فلا تنهره، ولكن أطعمه واقض له حاجته.

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١ ﴾ [الضحى: ١١]

كان المسلمون يرون أن من شُكْرِ النعم أن يحدّثَ بها.

حينما أقرأها - سورة الضحى- أشعر أن آياتها هي خطاب لنا جميعًا كما هي خطاب لنبينا محمد ﷺ، حينما أتمعن بلطف الله وكيف أنه يُحسن العاقبة دومًا بعد أن يختبر عبده فيجده صابرًا محتسبًا راضيًا.

سيخرجنا من حالنا إلى حالٍ أفضل بعد أن يمحّصنا ليختبرنا ويكفر عنّا سيئاتنا. سيعطيك ربك حتى ترضى، وعطاء الله ليس له حد وإذا أعطاك أدهشك، فما بالك بأنه يطمئنك بأنه سيعطيك حتى ترضى؟!

يقول أحدهم:

"وكأن سورة الضحى رحمة بقلبي.. وكأن سورة الضحى تُحدثني وتتحدث معي، أقرؤها وأشعر فيها لطف الله يغمرني من كل جانب وأنها تجلب إليّ يقين الكون كله لتضعه بين يديّ.. وأنني كُلما أُردد ما ودعك ربك وما قلى يهدأ قلبي ويطمئن"

ويقول آخر:

"سورة الضحى من أعظم سبل طمأنينة القلب، أقولها بكل يقين".

ويقول:

"من أعظم سبل طمأنينة القلب قراءة سورة الضحى فهي من أعظم السور في القرآن الكريم تحثك على أن تكون إيجابيًّا وأن تثق بالله ﷻ".

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ ﴾ [الضحى: ١]

لا يقسمُ الله إلا بشيء عظيم

فعليكم بصلاة الضحى فإنها صلاة الأوابين.

﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ ﴾ [يوسف: ١٠٠]

يقول ابن سعدي:

"يوصل برّه وإحسانه إلى العبد من حيث لا يشعر ويوصله إلى المنازل الرفيعة من أمورٍ يكرهها"

قال ابن القيم- رحمه الله- في نونيته:

وهو اللطيف بعبده ولعبده
واللطف في أوصافه نوعانِ
إدراك أسرار الأمور بخُبره
واللطف عند مواقع الإحسانِ
فيُريك عزته ويُبدي لطفه
والعبد في الغفلات عن ذا الشانِ

الرحمة واللطف

فاللُّطف هو من رحمة الله، ولكنه نوع مختلف من الرحمة، فاللُّطف يأتي للعبد من غير أن يشعر به أو بأسبابه.

فإن يسر الله للعبد وسهل له طريق الخير، وأعانه عليه، فقد لطف به.

"تعامل بلطف مهما كلفك الأمر... فأنت لا تعلم ما تخفيه صدور العالمين، ولا تعلم كم خاضوا من حروب باردة.. وكم فقدوا من عزيز عليهم، ترفق بقلوبٍ لا تراها وبأرواح تُكسر ولا تصدر صوتًا ، لا تدري لعل ابتسامتك وحدها تشجعه على شيء أنت لا تُدركه ، مثلما أنت تستحق السلام هم يستحقون مثلك أيضًا، حاشا لله أن أقول ادفع فوق طاقتك ولكن أعطِ ما استطعت إليه سبيلا ، ولا تدري لعل الله يُحدث بعد ذلك أمرًا أنت بحاجته"

إن ربي لطيف، إن ربي لطيف.

وضاح بن خيثمة

من القصص التي استشعر فيها لُطف الله.. هي قصة وضاح بن خيثمة، وهو أحد أصحاب عمر بن عبد العزيز.

يقول وضاح: أمرني عمر بن عبد العزيز بإخراج كل من في السجن، فأخرجتهم جميعًا إلا شخصًا واحدًا وهو يزيد بن أبي مسلم.. بسبب أن بيني وبينه خصومة وعداوة.. فأخشى إذا أطلقته أن يسعى في قتلي.

ثم خرجت من الشام إلى إفريقيا (تونس حاليًا).. في محاولة للهرب من يزيد بن أبي مسلم.. وبينما أنا في إفريقيا قيل لي إن يزيد بن أبي مسلم قد أقبل.. فهربت.. فأخرج رجالًا في طلبي، فقُبض علّي من رجاله.. وأتى إليّ يزيد وقال: وضاح؟

قلت: نعم أنا وضاح.

فقال يزيد لي: أما والله لطالما سألت الله أن يُمكنني منك.

فقُلت: وأنا والله طالما استعذت بالله من شرِّك.

قال يزيد: فوالله ما أعاذك، والله لأقتلنك ثم والله لأقتلنك، ثم والله لأقتلنك، والله لو سابقني ملك الموت لقبض روحك لسبقته.

فأمر يزيد بإحضار السيف والنطع[١].

يقول وضاح:

فجيء بالنطع، فأُقعدت فيه، وكُتفت.. وقام قائم على رأسي بسيف مشهور.. فأقيمت الصلاة.. فخرج يزيد للصلاة..

فلما خر -يزيد- ساجدًا أخذته سيوف الجند.. فُقتل، وجاءني رجل فقطع كتافي بسيفه، وقال: انطلق.

عندما تتأمل هذه القصة تجد أن الدعوتين متضادتان ولا يمكن إجابتهما معًا.

وهنا تستشعر قدرة الله ﷻ وحكمته.

فعندما سأل الطرف الأول -يزيد-: لطالما سألت الله أن يمكنني منك.

فمكنه الله- ﷻ- منه.

[١] معنى النطع: بِسَاطٌ من الجلد، كثيرًا ما كان يُقتَلُ فوقَه المحكومُ عليه بالقتل.

وعندما سأل الطرف الثاني -وضاح-: لطالما سألت الله أن يعيذني من شرّك.

فأعاذه الله -ﷻ- منه.

وهذا من تمام قدرة الله ﷻ وحكمته.

تأكد أن فرج الله قريب مهما ضاقت بك السبل.. والمتوكل على الله لا يخيب.. وليس هناك مكان لليأس في قلبه.

طمأنينة

من الأقوال المطمئنة التي أستشعر بها لُطف الله عند أي مصيبة أو بلاء؛ قول النبي ﷺ "واعلم أنَّ ما أصابك لم يكن لِيُخْطِئَكَ، وما أخطأك لم يكن ليُصيبك، واعلم أنَّ النصر مع الصبر، وأنَّ الفرج مع الكرب، وأنَّ مع العسر يسرًا، واعلم أن الأُمَّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعَت الأقلام وجفَّت الصُّحف."

تمر علينا ساعات فنتذكر مواقف مؤلمة في حياتنا ونشعر بمرارة تذكرها ونتساءل كيف مرت أصلًا والحقيقة أنها مرت بلطف الله.. لطف الله فقط.

إن ربي لطيف.. إن ربي لطيف.

الحمد لله

من السور القريبة إلى قلبي، سورة يونس.

يقول الله:

﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [يونس: ١٦]

شعور عميق بالحمد بعد قراءة هذه الآية.

ماذا لو أن الله شاء ولم ينزل آياته ولم يتلوه علينا نبينا محمد ﷺ؟!

كيف سيكون حالنا؟

لم أستطع التخيل

أي ظلام سيحل علينا؟

أي هموم ستتخبط بنا؟

أي أمراض كانت ستسكننا؟

أي راحة نفسية كنا سنُحرم منها؟!

فالحمد لله أن تلاه علينا فهدانا!

الحمد لله

﴿ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ ﴾ [الشورى: ١٩]

يرزق من يشاء، فيوسع له الرزق، ويضيق على من يشاء بحسب اقتضاء حكمته ولطفه، فحتى ضيق الرزق هو لطف من الله.

لطيف العبارات

يروى أن أميرًا رأى رؤيا مزعجة فدعا بمن يعبرها له، فقال له: تفسيرها أن أسرتك ستموت كلها. فغضب الملك وأمر أن يجلد عشر جلدات وطرد.

ثم دعا آخر ليفسرها، فقال له: أيها الأمير، إن تعبير رؤياك واضحٌ أنك أطول عمرًا من أسرتك كلها.

فحلت السعادة على الأمير وأمر أن يُعطى عشرة دنانير.

عندما تتأمل هذه القصة ستجد أن المعنى واحد في التفسيرين.. ولكن الأول كان فظًّا في القول.. فخرج مضروبًا.

أما الآخر فكان لطيف القول وحسن التعبير، وقدم المعنى برفق وذكاء، فخرج بالجائزة.

فاللُّطف في القول هو منهج جميل، ولا تُقل إني صريح وأحب الصراحة، فلا تعارض بين الصدق والقول اللطيف.

ورُب كلمة تدخل الجنة، وكلمة تدخل النار، وكلمة أنجت من القتل، وكلمة دفعت صاحبها إلى القتل.

روى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: أفضل ما يعمله الممتحن انتظار الفرج، والصبر على قدر البلاء، والصبر كفيل بالنجاح، والمتوكل لا يخيب ظنه.

﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤ ﴾ [الملك: ١٤]

يعلم ما يدور في قلبك، وهو أرحم بنفسك منك، ما يفرحك ويحزنك وما ينفعك وما يضرك هو أعلم به، وأنت له وأنت إليه راجع. فاطمئن أرجوك ولا تقلق.

﴿ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ٥٤ ﴾

[النحل: ٥٤]

يكشف عنهم الضر مع علمه بأنهم يشركون، فكيف بمؤمن موحد يدعوه طمعًا فيما عنده من رحمة؟ أتظنه ينساك؟!

اطمئن.. إن ربي لطيف.

"لا تبخل أبداً"

لا تبخل بكلمة تدافع بها عن بريء.
لا تبخل بكلمة تُنكر فيها على باطل.
لا تبخل بكلمة ترفع بها ظلمًا عن مظلوم.
لا تبخل بكلمة تظهر الحق، وتهدم الباطل.

اللهم ابعدنا كل البُعد عن من يستهين بالكلمة، وأثرها.

اطرد الفراغ

عندما يجتمع الفراغ مع المصيبة والألم فقد يحدث ما لا يُحمد عقباه.

فقد يكون الأمر للوهلة الأولى وأنت تقرأ سهلًا، ولكن عندما تتأمل ستجد أنه لا سبيل لطرد الفراغ سوى بالعمل.

عندما كان الشيخ علي طنطاوي- رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يواسي أمًّا في وفاة ابنتها، أخبرها أن تدع ما يقوله الجميع جانبًا وأن تنشغل بشيء يملأ وقتها، ونصحها أن تستبدل منزلها إن استطاعت وتذهب لمنزل آخر، لأن كل ركن فيه، وكل شيء فيه يذكرها بابنتها، فإن بدلته أو تركته وسافرت، فابتعدت عنه، خف عليها لذع الذكريات.

نصحها أن تتحدث عن فقيدتها، وأن تقول لكل من معها كل ما يخطر على بالها، ولا تنطوي على نفسها.

وقال لها: "إن الكلام ينفس عن المصاب فتكلمي، والشغل يلهي عن الحزن فاعملي، والسفر والانتقال يمنع سيل الذكريات الأليمة فانتقلي أو فسافري، وإن عرض لك البكاء فابكي، ولا تخجلي.

اعلم أن الفارغون في الحياة هم أهل الشائعات، وحين تجد في حياتك فراغًا استعد حينها للهم والحزن، الفراغ أشبه بالموت البطيء الذي يُمارس في بعض السجون، فيُصاب المسجون بالجنون ثم يموت!

اعمل ولا تدع للفراغ وقتًا في يومك، وتأكد أن مع الدمعة بسمة، ومع الخوف أمن، ومع الفزع سكينة.

"يَمضِي مَا كان صَعبًا، بِلُطفِ الله دُونَ أن تَشعُر "

الإبرة

أراد خياطٌ أن يعلم حفيده حكمةً عظيمةً على طريقته الخاصة وفي أثناء خياطته لثوبٍ جديدٍ أخذ مقصه الثمين وبدأ يقص قطعة القماش الكبيرة إلى قطعٍ أصغر كي يبدأ بخياطتها ليصنع منها ثوبًا جديدًا، وما إن انتهى من قص القماش حتى أخذ ذلك المقص الثمين ورماه على الأرض عند قدميه!

والحفيد يراقب بتعجب ما يفعله جده.

ثم أخذ الجد الإبرة وبدأ في جمع تلك القطع ليصنع منها ثوبًا رائعًا، وما إن انتهى حتى غرس الإبرة في عمامته.

في هذه اللحظة لم يستطع الحفيد أن يكبح فضوله وتعجبه من سلوك جده فسأله: لماذا يا جدي رميت مقصك الثمين على الأرض بين قدميك، بينما احتفظت بالإبرة زهيدة الثمن ووضعتها على عمامة رأسك؟!

فأجابه الجد: يا بني إن المقص هو الذي قص قطعة القماش الكبيرة تلك وفرقها وجعل منها قطعًا صغيرة، بينما الإبرة هي التي

جمعت تلك القطع لتصبح ثوبًا جميلًا. فينبغي عليك ألا تعلي قدر من يحاول أن يفرق ويفكك ترابطنا وتآخينا مهما بدت مكانته العالية وعلى النقيض تماما كن مع من يحاول لمّ الشمل.

كن دائمًا داعيًا للخير، لصلة الأرحام، واصلًا للعلاقات المتقطعة، كن من يبدأ ويُبادر بالتواصل وصلة الرحم.

لا تنتظر رد الجميل، ولا تنتهج نهج من زارني زرته ومن دعاني دعوته، ومن سأل عني سألت عنه.

قال ﷺ: "ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها".

أي أن صلة الرحم ليست أن تصل من وصلك، وتقطع من قطعك، بل هي أن تصل من قطعك.

إذا شعرت أن العلاقة على وشك الانقطاع، قدم بعضًا من التنازلات واذهب وبادر بالحديث، بادر بتنشيط العلاقات.

كن "إبرة" ولا تكن "مقصًا"!

كن إبرة وانسج العلاقات التي توشك أن تُقطع، وأوصل ما انقطع منها.

صلة الأرحام سببًا في سعة الرزق.

صلة الأرحام أمرنا بها رسولنا ﷺ:

"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه".

وتأكد أن لصلة الارحام لذة لا يعلمها إلا من تذوقها.

لا تنتظر مناسبة أو عيدًا لتصلها، بل بادر في أي وقت.

قلبك!

أعظم ما تملك هو قلبك، الذي بين ضلوعك؛ لذلك لا بد أن تحافظ عليه، وتسأل الله دائمًا أن يسلّمه من كل سوء.

جاء في تفسير

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٩]

أي قلبٌ حيٌّ يشهد أن لا إله إلا الله، قلب سليم من الشرك، قلب صحيح، قلب مؤمن، خالٍ من البدع.

يا رب ارزقنا سلامة القلب.

قال القاضي شريح - رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

"إني لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات:

أَحمَده إذ لم تكن أعظم مما هي..

وأحمده أن رزقني الصبر عليها..

وأحمده أن وفَّقني للاسترجاع لما أرجو فيه من الثواب..

وأحمده إذ لم يجعلها في ديني "

فخ المقارنات

عندما أردت أن أكتب عن المقارنات لم أعرف من أين أبدأ، ولكنني أردت أن أركز عن مقارنتنا نحن بغيرنا.

أسوأ ما قد يمر بالإنسان أن يقارن نفسه بغيره، أن يصبح الأمر كالوسواس.. حينها لن ترضى عن نفسك ولا عن حياتك ولا عن أي شيء.

دعنا نتحدث ونفرّق بين حُقبتين من الزمن، حُقبة ما قبل مواقع وسائل التواصل، وحقبة ما بعد وسائل التواصل.

فقبل وسائل التواصل كانت المقارنات بسيطة.. وتقتصر على المقربين منك.. ابن خالتك.. ابن عمك.. صديقك.

لكن بعد ظهور وسائل التواصل.. وظهور المؤثرين على وسائل التواصل.. اشتدت المقارنات.. فأصبح الشخص يُقارن نفسه بمن يعرف ومن لا يعرف.

تجد أحدهم ينشر صورًا مثالية ليس بها أي خطأ.. والإضاءة مناسبة والمكان لطيف والبشرة صافية.

وآخر ينشر صورًا لسيارته طراز خاص بلون نادر..

وآخر ينشر صورًا له في سفره..

والقائمة تطول وأنتم أعلم منّي!

ولكن ما أردت قوله إن هذا ما هو إلا وهم.. الذي يقرر أن ينشر صوره تجده يقوم بالتعديل عليها كثيرًا والتقاطها أكثر من مرّة.. حتى بعضهم يصور اللقطة نفسها أكثر من ١٠٠ مرة حتى ينشر واحدة فقط!!

فمن ينغمس في دوامة وسائل التواصل سيشعر -وهذا طبيعي- أنه لا يُنجز شيئًا.. فهذا قد اشترى هاتفًا، وهذا قد التحق بوظيفة، وهذا قد سافر للدولة التي يتمنى زيارتها.. وهذا قد اشترى بيتًا.. وأنت حينما تنظر إلى نفسك ترى أنك لم تنجز شيئًا.. فتُصاب بالإحباط والكسل.. والاكتئاب حتى.

ذات مرة كنا في زيارة لأحد الأماكن اللطيفة في الإسكندرية.. وكان الجو لطيفًا ومنظر السماء وهي مليئة بالغيوم يستحق التأمل والتفكر.. ويستحق التصوير أيضًا في نظر من يحبون التصوير.

فأراد أحد الأصدقاء التقاط صورة للسماء من زاوية معينة.. فإذا بالمكان به فتاتان.. إحداهما تصور الأخرى.. فانتظرنا إلى أن تنتهيا من التصوير.. ولكنهما أطالتا كثيرًا.. فانتظرنا وانتظرنا ولكن طال الوقت وهما تلتقطان الصور.

لا أبالغ إن قلت إنهما تجاوزتا العشرين دقيقة وهما تصوران المشهد نفسه.. ثم تذهب وتنشر الصورة على وسائل التواصل وتكتب: "العفوية أمر جميل"!!

ما أردت قوله إنهما تتكلفان في إظهار أفضل ما لديهما لتكونا بلا أخطاء ولا أي شوائب.

وسائل التواصل هي من أشعلت نيران المقارنة.. ولكن عندما تتأمل ستجد أنها مجرد مظاهر خادعة.. وهذا ليس بكلامي.. بل كلام أحد المؤثرين المعروفين!

يقول أحدهم إننا لا نُخرج أفضل الأكواب لدينا إلا عند التصوير، وبعد انتهاء التصوير نعود للكوب الورق أو البلاستيك.

لو تأملت في كلامه ستجد إنهم يهتمون بأدق التفاصيل، ويشعرونك أنه الطبيعي لديهم، بينما الواقع عكس ذلك.

كل إنسان في الحياة له ظروف مختلفة عن الآخر.. وأقدار مختلفة.. ويمر بمواقف تختلف عن مواقف أي شخص آخر.. ويخوض في الحياة دروبًا مختلفة جدًّا عن أي شخص آخر.. حتى وإن تشابهت الدروب فإن طريقة التعامل مع الموقف والتفكير فيه تختلف من شخص لآخر.

أنت عندما تقارن نفسك بغيرك فإنك تقوم بأمر غير منطقي، فأنت لا تعلم ما مقدار التضحيات التي قدمها الشخص الآخر.. ما مقدار الابتلاءات التي تعرض لها.. قد يكون لديه ابتلاءات لا تقدر عليها أنت!

لماذا لا تقارن نفسك بمن هو في المستشفى بين الحياة والموت.. فقط كل أمنياته أن يُصبح مُعافى مثلك.

لماذا لا تقارن نفسك بمن لم يُرزق بأولاد وذرية.. وأنت قد منّ الله عليك بالذرية والأولاد.

لماذا لا تقارن نفسك بمن هو كفيف لا يُبصر.. وأنت قد منّ الله عليك بنعمة البصر.

أرجوك عندما تقارن نفسك بمن هم أعلى منك مستوى.. لا تنسَ أيضًا أن تقارن نفسك بمن هم أقل منك.

لا تقارن يومك بيوم غيرك، ولكن قارن يومك بأمسِك.. فإنه أحرى أن لا تزدري نعمة الله عليك.

حرر نفسك من المقارنة، ليس دورك في الحياة أن تتسابق مع الآخرين لكن دورك أن تكسر أرقامك القياسية وتتفوق على نفسك.

ما دُمت تؤمن بالله.. فتأكد أن ما تريد الوصول إليه ما دمت تسعى سيوفقك الله وستصل لما تريد.. فقط انشغل بنفسك ولا تقارن نفسك بغيرك.

واطمئن.. إن ربي لطيف.

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦ ﴾

[لقمان: ١٦]

مهما صغرت السيئة أو الحسنة فإنه يعلمها وسيجازيك بها يوم القيامة.

إن الله لطيف لا تخفى عليه دقائق الأشياء.

يعلم ما نخفي وما نعلن.

محبة لا إكراه

لو أن الله يعاقب العبد إذا أخطأ مباشرة، لاستقام العبد استقامة قهر.. ولكن الله يريد أن يستقيم العبد استقامة محبة، لذلك يمهل الله العبد ليعود، حياتنا بيد الله ﷻ، وموتنا بيده، رزقنا بيده ومالنا بيده ومن حولنا بيده، ومع كل ذلك لم يرد أن نعبده إكراهًا..

قال تعالى:

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

بل أرادنا أن نعبده محبة، وتصبح العلاقة بين العبد وربه علاقة محبة.

قال تعالى:

﴿ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥٤]

لذلك الدين يصل إلى أعماق الإنسان، لا يوجد قانون أرضي يصل إلى أعماق الإنسان، القانون يحكم بالظاهر فقط.

لا يزال لسانك رطباً بذكر الله.

في حديث صحيح:

أن رجلًا أتى إلى الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ، وأنا كبرت فأخبرني بشيء أتشبث به. فقال ﷺ: "لا يزال لسانك رطبًا بذكر الله"

اجعلها عادة أن لا تمر ساعة من يومك إلا وقد ذكرت الله.

قال داود بن أبي هند:

يا فتيان أخبركم ولعل بعضكم أن ينتفع به.. كنت وأنا غلام أختلف إلى السوق، فإذا انقلبت إلى البيت جعلتُ على نفسي أن أذكر الله إلى مكان كذا وكذا، فإذا بلغت ذلك المكان جعلت على نفسي أن أذكر الله إلى مكان كذا وكذا حتى آتي المنزل.

قال أحد السلف:

أليس المريض إذا منع من الطعام والشراب والدواء مات؟ قالوا: بلى، فقال: كذلك القلب إذا منع من ذكر الله.

سئل أحد علماء السلف عن أهل الهوى، فقال:

قلوبٌ خلَتْ من ذكر الله، فسلّط عليها غيره.

في حديث صحيح:

"مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه، مثل الحي والميت"

وقوله ﷺ: "سبق المفردون". قالوا: ما المفردون يا رسول الله؟ قال " الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات"

وفي حديث صحيح قال ﷺ:

((ألا أخبركم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ذكر الله عزَّ وجلَّ))

وأفضل الذكر ما كان خفيًّا عن الناس لقول الرسول ﷺ:

"وَخَيْرُ الذِّكْرِ الْخَفِيُّ"

تعالوا لنذكر الله دائمًا، وألا نغفل عنه أبدًا.

ولكن ما هو أفضل الذكر؟

النبي ﷺ قال: "أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله".

أفضل الدعاء الحمد لله؟

نعم؛ فإن الحمد لله تعني الشكر لله تعالى، ومن شكر الله تعالى فقد تعرض لمزيد من فضله.

قال تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧]

وقال ﷺ: "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة"

فيا رب اجعلنا من الذاكرين الشاكرين، ولا تجعلنا من الغافلين الجاحدين لنعمك.

كم!

كم من مرة تقول لماذا أنا يحصل معي كذا وكذا، ولا تعلم أنه من لطف الله ﷻ عليك أن حصل هذا الأمر، أحيانًا تريد أمرًا تظن أنه خير فيصرفه الله عنك فتحزن وتتألم ولا تعلم أن العالم بدقائق الأمور وخفاياها هو لطيف بك.

قد صرف عنك هذا الأمر الذي ظننت أنه خير ولكنه كان شرًّا لك.

اطمئن.. إن ربي لطيف.

" قد صرف الله عنك هذا الامر الذي ظننت انه خير ولكنه كان شراً لك"

أنت الرجاء وإليك الدعاء

أعظم ما يثبت القلب هو الدعاء، ومما يشرح الصدر عند اشتداد البلاء هو الدعاء، ولا يغيّر القدر إلا الدُّعاء.

بالدعاء نال سُليمان مُلكًا لا يناله غيره!

﴿ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ ﴾ [ص: ٣٥]

وبالدعاء تتحقق الأماني!

﴿ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ٣٦ ﴾ [طه: ٣٦]

أتأمل في الأدعية القرآنية كلها التي جاءت بصيغة: (رب) و(ربنا) جميعها خلت من ياء النداء، فما السبب؟

لأن (يا) أداة نداء للبعيد، والله سبحانه قريبٌ من عباده، وقد قال:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ ﴾

[البقرة: ١٨٦]

قال الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"يعجبني دعاء الأنبياء ربَّنا ربَّنا".

ومن دعاء الأنبياء الذي ورد في القرآن:

دعاء إبراهيم عليه السلام:

﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ ﴾ [البقرة: ١٢٦]

ومن دعائه: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٧]

ومن دعائه: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٠]

ومن دعائه:

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾

[إبراهيم: ٤١]

ومن دعائه:

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ۝٨٣ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ۝٨٤ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ۝٨٥ ﴾ [الشعراء: ٨٣-٨٥]

ومن دعائه:

﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۝١٠٠ ﴾ [الصافات: ١٠٠].

ومن دعائه:

﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝٨٧ ﴾ [الشعراء: ٨٧]

دعاء داود عليه السلام وقومه عندما برزوا لجالوت وجنوده:

﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝٢٥٠ ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

دعاء سليمان عليه السلام: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ۝٣٥ ﴾ [ص: ٣٥]

دعاء زكريا عليه السلام:

﴿ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ ﴾ [الأنبياء: ٨٩].

دعاء عيسى عليه السلام:

﴿ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١٤ ﴾ [المائدة: ١١٤]

ومن دعائه:

﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١١٨ ﴾ [المائدة: ١١٨]

دعاء أيوب عليه السلام:

﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

دعاء هود عليه السلام:

﴿ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦ ﴾ [هود: ٥٦].

دعاء لوط عليه السلام:

﴿ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٣٠ ﴾ [العنكبوت: ٣٠]

ومن دعائه:

﴿ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهۡلِي مِمَّا يَعۡمَلُونَ ١٦٩ ﴾ [الشعراء: ١٦٩]

من دعاء الأنبياء دعاء يوسف عليه السلام:

﴿ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١ ﴾ [يوسف: ١٠١].

دعاء شعيب عليه السلام:

﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ٨٩ ﴾ [الأعراف: ٨٩].

من دعاء الأنبياء دعاء سليمان عليه السلام:

﴿ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النمل: ١٩]

دعاء زكريا عليه السلام:

﴿ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾

[آل عمران: ٣٨]

ومن دعائه:

﴿ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٩]

من دعاء الأنبياء دعاء يعقوب عليه السلام:

﴿ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [يوسف: ٨٦]

من دعاء الأنبياء دعاء آدم عليه السلام وزوجته:

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾

[الأعراف: ٢٣].

دعاء موسى عليه السلام:

﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي ﴾ [القصص: ١٦].

ومن دعائه:

﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [القصص: ٢٤]

ومن دعائه: ﴿ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [القصص: ٢١]

ومن دعائه: ﴿ وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

ومن دعائه:

﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ ﴾ [طه: ٢٥-٢٨].

ومن دعائه:

﴿ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ١٧ ﴾ [القصص: ١٧]

دعاء يونس عليه السلام:

﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

دعاء نوح عليه السلام:

﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ٢٦ ﴾ [المؤمنون: ٢٦]

ومن دعائه:

﴿ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ٢٧ ﴾ [نوح: ٢٦-٢٧]

ومن دعائه:

﴿ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧ ﴾ [هود: ٤٧]

ومن دعائه:

﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ۝٢٨ ﴾ [نوح: ٢٨].

روي في الأخبار أن موسى عليه السلام كان دعاؤه حين توجه إلى فرعون: كنت وتكون، وأنت حي لا تموت أبدًا، تنام العيون وتنكدر النجوم، وأنت حي قيوم، لا تأخذك سنة ولا نوم يا حي يا قيوم.

يروى أن جعفر بن محمد بن علي أراد الحج فمنعه المنصور فقال:

"الحمد لله الكافي، سبحان الله الأعلى، حسبي الله وكفى، ليس من الله منجي، ما شاء الله قضى، ليس وراء الله منتهى، توكلت على الله ربي وربكم، ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم، اللهم إن هذا عبد من عبيدك خلقته كما خلقتني، ليس له عليّ فضل إلا ما فضلته به علي فاكفني شره، وارزقني خيره، واقدح لي المحبة في قلبه، واصرف عني أذاه، لا إله إلا أنت سبحان الله رب العرش العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله كثيرًا".

فأذن له المنصور بالحج.

يروى أن امرأة في البادية وقد جاء البرد فذهب بزرع لها فجاء الناس يعزونها، فرفعت رأسها إلى السماء وقالت:

"اللهم أنت المأمول لأحسن الخلف، وبيدك العوض عما تلف. فافعل ما أنت أهله، فإن أرزاقنا عليك، وآمالنا منصرفة إليك"

فلم يبرح الراوي حتى مر رجل من الأجلاء فعلم بما حدث لها، فوهب لها خمسمائة دينار.

ومن أسرار إجابة الدعاء أيضًا هي شكوى الحال لله ﷻ، ففي سورة الأنبياء جاءت قصة أربعة أنبياء.. وجميعهم استجاب الله لهم.

موسى عليه السلام يقول:

﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [القصص: ٢٤]

بعد أن كان طريدًا، وخائفًا، وجائعًا، ووحيدًا، فأعطاه الله؛ المأمن، والمأكل، والمشرب، والمنكح والعمل.

يعقوب عليه السلام:

﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [يوسف: ٨٦]

وهنا نستدل أن الشكاية مهمة جدًّا في الدعاء، حيث أن الإنسان يحتاج إلى أن يخرج ما في نفسه.

يحتاج أن يشكو لأحد، والشكوى للمخلوقين مذمومة، فلهذا يجب أن يشكو الإنسان إلى الخالق.

زكريا عليه السلام:

﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٩]

لم يكن له ولد، ولم يكن يريد ولدًا فقط للدنيا.. بل أيضًا من أجل تبليغ الدين والدعوة إلى الله، فشكا حاله إلى الله.

فقال الله:

﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾ [الأنبياء: ٩٠]

نوح عليه السلام:

شكا إلى الله الكرب الذي هو فيه، حين هدده قومه بالقتل واستهزؤوا به.. فأجابه الله عز وجل:

﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٦ ﴾

[الأنبياء: ٧٦]

أيوب عليه السلام:

أصيب بالمرض ١٨ سنة، فدعا ربه

﴿ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣ ﴾ [الأنبياء: ٨٣]

يشكو حاله إلى الله فقال الله سبحانه وتعالى:

﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾

[الأنبياء: ٨٤]

يونس عليه السلام نادى في الظلمات:

﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ ﴾

[الأنبياء: ٨٧]

اعترف بالذنب وهو في ظلمة الليل، والبحر، وبطن الحوت.

فقال الله سبحانه:

﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ ﴾ [الأنبياء: ٨٨]

أي أخرجناه من بطن الحوت.

وافعلوا الخير

﴿ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧]

دون أي تقييد.. ومن دون أن يذكر الله صفات من نفعل لهم الخير.. ولا أن نفعل الخير في أهله فقط.. لا، لا.. هكذا قانون.. أن نفعل الخير من دون أي شروط.

افعل الخير وكن صاحب أثر جميل في من حولك.

افعله طمعًا في رحمة ربك وطلبًا للمغفرة.

كن صاحب أثر، حتى إذا غبت عنهم أحسوا بغيابك، والتمسوا الفرق بين غيابك وحضورك، كن كالشمعة.

ادفع الأذى عن غيرك، ارفع عنه الظلم، أعطه هدية، قل له كلمات طيبة، انصح، واجبر بخواطر من كسرت الحياة خواطرهم.

افعل الخير في أهله وفي غير أهله.

افعل الخير يا صديقي فالأيام لن تعود.

﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠ ﴾

[يوسف: ١٠٠]

قالها يوسف عليه السلام ، إن ربي لطيف في تدبيره لما يشاء، عليم بأحوال عباده، حكيم في تدبيره، رحيم بهم.

كُن خيّراً، ولا تقل إلا خيراً

وأنا صغير لم أتجاوز العاشرة من عمري كان لدي صديق يحب إعلان الأخبار السيئة، لا أعلم ما الذي كان يعجبه في الأمر.. ربما كان يستلذ بالدهشة التي تكون في أعين الناس عند سماع خبر سيء؟

ما بين خبر وفاة أحدهم، وأخبار تصادم قطارات وأخبار تنبأ باصطدام كوكب بالأرض، وخبر لانفجار، والكثير من الأخبار السيئة، حتى أخبار الطقس السيئ لم يتركها آن ذاك.

لما كبرنا وتعلمنا.. أدركنا بعضًا من تجارب الحياة.. ذقنا أثر الخبر السيئ، وإنه قد يفسد يوم أحدهم، وعلمنا أن إخبار الوالدين بالأخبار السيئة هو من العقوق، وأدركنا أن خبرًا سيئًا نقوله دون قصد قد ينفر الناس من حولنا، وأن خبرًا سيئًا يقوله أحدهم لي قد يُفسد يومي.

فنصحته أن لا يخبرني بأخبار سيئة لأنني غير مهتم لأي خبر سيئ، فبدأ تدريجيًّا بأن لا يقول إلا الخير، حتى وإن سألته عن خبر سيئ يقول لا أعلم.

سمعت درجة أحد الأصدقاء في الاختبار وقد كانت متدنية رغم أنه اجتهد وأنا أعلم ذلك.. وهو ولم يكن حاضرًا ساعة إعلان الدرجات.. التقيت به بعد الخروج من القاعة وسألني عنها.. فقُلت له آسف لم أنتبه.. ولكن إن شاء الله ستكون خيرًا وأنت اجتهدت وفعلت الذي بوسعك.

لم يكن هذا كذبًا - فالكذب في مثل هذه الأمور مباح، الكذب مباح لضرورة أو حاجة- فقط لم أرد أن أجعل يومه سيئًا، أو أن أحبطه بإخباره الدرجة.

تشاء الأقدار أنه لم يعلم درجته إلى أن حان موعد الاختبار الثاني.. ويكون هو الحاصل على أعلى درجة في الاختبار الثاني!

بعدما أخبرته بالقصة، وأنني أخفيت عنه الدرجة الأولى شكرني، وقال لي رُبما لو أنني عرفت الدرجة الأولى لم أكن لأجتهد في الاختبار الثاني.

أدركت حينها أن لذة قول الأخبار الجيدة، خير بألف مرة من لذة الخبر السيئ، وأن قول الخير أعظم أجرًا عند الله. وأن هذه وصية من رسول الله ﷺ

(يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا)

رواه البخاري ومسلم.

أدركت بعدها أن هذه ليست عادة بل هو منهج البعض ممن حولنا.. سواء نراهم في حياتنا أو نراهم على منصات التواصل الاجتماعي.

هم هكذا.. لا يرون إلا هذه الأخبار السيئة ولا يرون إلا الشر دائمًا، وعند الأخبار الجيدة فهم صم بكم عمي.

تجد أحدهم يغرد عن وفاة فلان، وبعد ساعة يغرد عن كارثة، وبعدها يغرد عن أن الحياة ليست عادلة، إلى آخره.. ومن ثم يختم اليوم بتنبؤات أن الحياة ستنتهي قريبًا.

هو يستمتع بذلك، ولكنه لا يعلم أنه ينفر الناس من حوله، أصبح عند الناس كالغراب المشؤوم في الجاهلية.. الذي عندما يرونه لا يستبشرون بخير.

لا أود قول ذلك ولكن إن وجدت شخصًا بهذا الأسلوب في حياتك، فانصحه أن يغير هذا الأسلوب، فإن لم يستمع لنصيحتك.. فتنح عنه جانبًا.. وإن كان من كان

.

لا أقصد أن تقاطعه وتعلن الحرب عليه، لا، لا.

فقط لا تكن قريبًا منه.. أعدك أن تتحسن نفسيتك وتتغير نظرتك للحياة.. أعدك أن تتغير طريقة تفكيرك أيضًا.

وما علاقة طريقة التفكير بالأمر؟!

قرأت مرة مقالًا لدكتور نفسي، يتحدث عن طريقة من طُرق العلاج المتبعة للمرضى النفسيين.. فذكر أنه يُطلب من المريض كل يوم قبل أن ينام.. أن يكتب في هاتفه موقفًا جميلًا حدث له لمدة ٣ أشهر متتابعة، فتُصبح عادة لدى الشخص أن يكتب كل يوم قبل نومه موقفًا جميلًا أو موقفين أو ثلاثة.. أو ما شاء.

ليس شرطًا أن يكتبهم بالتفاصيل، فقط يكتب عنوانًا أو وصفًا مختصرًا للموقف.

الغرض من كتابة هذه المواقف هو أن يتعوّد الشخص على التركيز على الأمور الجميلة في حياته، لا العكس.

ومع مرور الوقت يعتاد المخ التركيز على المواقف الجميلة، وينسى ما دون ذلك.

فيصبح مع مرور الأيام لديه ملف كامل به مئات المواقف الجميلة.. يُسمي الدكتور هذا الملف ب "سجل النعم"

وعندما تمر به فترة عصيبة في حياته، وتُقفل جميع الأبواب في وجهه، فيرجع ويقرأ هذا السجل -سجل النعم- فيتذكر النعم والمواقف الجميلة.. لأن الإنسان بطبيعته ينسى النعم ويتذكر المصائب فقط.

ذكر الحسن البصري في معنى

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ ﴾ [العاديات: ٦]

قال: هو الكفور الذي يعد المصائب، وينسى نعم ربه.

الأمر يشبه التجربة التي قام بها العالم "جيمس بيكر" عام ١٩٨٦ عندما قام بتجربة على مجموعة من طلابه.

وكانت التجربة هي أن اختار مجموعة من طلابه وطلب منهم أن يكتبوا يوميًّا لمدة ربع ساعة، يتحدثون فيها عن المراحل الصعبة التي تواجههم في الحياة.

وكانت النتيجة بعد ستة أشهر من بداية التجربة أن "جيمس" لاحظ تغير في:

-شخصياتهم.

-طريقة تفكيرهم.

-صحتهم النفسية.

ومن ذلك الوقت أُكتشفت طريقة العلاج بالكتابة.

"ماذا تعلمت؟"

في أحد الأيام وجدت هذا التعليق:
(ماذا تعلمت من هذه الفترة)
على حسابي على الإنستجرام.. فجاوبته:
(أن تُعلق قلبك بالله فقط.. بالله فقط يا صديقي).

رغم بساطة العبارة وقصر الجملة إلا أنها كانت تحمل معاني كثيرة وتعني لي الكثير.

فنحن أحيانًا - وأنا منكم - نتعلق بالأسباب وننسى المُسبب.. ضعفًا وجهلًا منّا.

نعلم أن الله بيده كل شيء، وبيده الخير، قادر على كل شيء، ولكن مع انغماسنا في الأخذ بالأسباب فإننا ننسى ونركز على الأسباب.

في بداية أزمة كورونا.. وآسف لذكر كورونا وتذكيركم بها ولكن هكذا يجب القول.. في بدايتها تم سرقة وحذف قناتي على اليوتيوب.. كان الأمر قاسيًا بالنسبة لي.. لأن من يتابعني على

وسائل التواصل يعلم أنني كنت أمر وقتها ببعض التعثرات، والضغوطات.. فكان الأمر غير مُحتمل بتاتًا.

كان الأمر صعبًا، وتواصل معي الكثير -جزاهم الله خيرًا- لمحاولة استرداد القناة.. ولكن واجهتنا صعوبات بسبب أنني لم أقم بنشر أي صورة لي.. وكان الدعم الفني في جوجل يعمل بدوام جزئي، فكانت هناك صعوبة في التواصل مع الدعم.. وتأخير في الرد، فالرد الذي كان قبل كورونا يتم خلال ٢٤ ساعة.. أصبح يتم في كورونا في ٢٤ يومًا.. فالأمر كان معقدًا نوعًا ما.

أنا لا أذكر هذا الأمر لكي تتعاطف معي، فالأيام مرت بلُطف الله.. والأمر قد ولى، وأسأل الله أن لا يُعيد هذه الأيام، وأن يجعل أيامنا كلها سعادة وأن يحفظنا من فواجع الأقدار.

ولكن هذه الأيام مع مرارتها إلا أنها علمتنا جميعًا دروسًا، لاحظت أنني كنت منشغلًا في الأسباب كثيرًا.. ومتعلقًا بأشخاص في مساعدتي في استرجاع القناة بعد حذفها وحذف جميع المحتوى الذي كان عليها.

طال الأمر وفشل الكثير ممن حاولوا مساعدتي.. فأدركت أن الأمر بيد الله فقط.. إن أراد أن يُعيدها فستعود، وإن لم يُرد فأسأل الله أن يعوضنا خيرًا منها.

فعندما قرأت سؤال أحدهم "ماذا تعلمت من هذه الفترة" وأنا أعلم أنه يقصد هذه الفترة العصيبة ولم يكن مجرد سؤال عابر في التعليقات دون قصد، بل كان مقصودًا..

فأجبته:

"أن تُعلق قلبك بالله فقط.. بالله فقط يا صديقي".

فيا رب علّق قلوبنا بك وحدك، ولا تعلقها بغيرك.

من سورة يونس – عبد الرحمن مسعد

لصوص حكيمة

يُحكى أن مجموعة من الرجال كانوا في طريق سفر.. فخرج عليهم قُطاع طرق فسرقوا كل ما معهم، وقاموا بربطهم وتقييدهم.

وعندما حان وقت الصلاة، استعد قُطاع الطرق وتوضؤوا وأقاموا الصلاة.. فعندما انتهوا من الصلاة.. خاطبهم أحد الرجال وقال لهم: كيف تسرقوننا ثم تصلون.. لا شك أن صلاتكم باطلة ولن يتقبلها الله منكم.

فقال زعيم السارقين: بيننا وبين الله حبال كثيرة.. فأحببت أن اترك حبلًا موصولًا بالله.

تحمل هذه القصة نفس المعاني لقصة أخرى رواها الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول - رَحِمَهُ ٱللَّهُ- كنت أسير في طريقي فإذا بقاطع طريق يسرق الناس، وبعدها بأيام رأيت نفس الشخص اللص يصلي في المسجد فذهبت إليه وقلت: هذه المعاملة لا تليق بالمولى تبارك وتعالى، ولن يقبل اللّه منك هذه الصلاة وتلك الأعمال.

فقال السارق: يا إمام، بيني وبين اللّه أبواب كثيرة مغلقة، فأحببت أن اترك بابًا واحدًا مفتوحًا.

وبعد أشهر قليلة ذهب الإمام أحمد بن حنبل لأداء فريضة الحج، وفي أثناء الطواف رأى رجلا متعلقًا بأستار الكعبة.. يقول:

"تبت إليك.. ارحمني، لن أعود إلى معصيتك"

فتأمل الإمام هذا الأواه المنيب الذي يناجي ربه، فوجده لص الأمس!

فقال في نفسه: (ترك بابًا مفتوحًا ففتح اللّه له كل الأبواب).

فإياك أن تغلق جميع الأبواب بينك وبين الله ﷻ، حتى ولو كنت عاصيًا وتقترف معاصي كثيرة، فلعل بابًا واحدًا أن يفتح لك أبوابًا كثيرة.

يقول الله ﷻ: أنا عند ظن عبدي بي. وأنا معه حين يذكرني. إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي. وإن ذكرني في ملإ، ذكرته في ملإ خير منه. وإن تقرب مني شبرًا، تقربت إليه ذراعًا. وإن تقرب إلي ذراعًا، تقربت منه باعًا. وإن أتاني يمشي، أتيته هرولة.

وفي رواية: بهذا الإسناد. ولم يذكر "وإن تقرب إلي ذراعا، تقربت منه باعا".

الراوي: أبو هريرة

خلاصة حكم المحدث: صحيح

"بماذا تنصحني؟"

ما بين الحين والآخر، أقوم بفتح الخاص في برنامج التواصل الاجتماعي "الانستجرام".. لأرى ما إذا كان هناك من ينصح، أو يود إخباري بأمر مهم، أو يبشرني بخير.

فأجد أيضًا رسائل تحمل في طياتها الحزن العميق، فأجد من تهجّر من دولته لدولة أخرى تبعد آلاف الكيلومترات.

وأجد من عانى في حياته وواجه من الحزن ما لا يتحمله بشر، قد يدور في بالك لا شك أن هذه الرسائل تحتمل الكذب.. ولكن إن سمحت لك الفرصة أن تقرأ هذه الرسائل وتقرأ التعبيرات المستخدمة وطريقة سرد العبارات في الرسالة، ستدرك أن الأمر لا يحتمل الكذب أصلًا.

أرسل أحدهم لي رسالة أخبرني عما حصل وما زال يحصل له في حياته، ظننت لوهلة أنني لم تصبني أي هموم أبدًا!!

من شدة الهموم والمواقف التي وقع فيها، عندما قرأت كلامه أحسست أني لم أمر بأي هموم!!

أعلم أنني لست مستشارًا لكي أملي عليهم ما يفعلون وما لا يفعلون، ولكنني مُدرك أنه من أرسل لي، لم يُرسل إلا باحثًا عن شخص يطمئنه، باحثًا عن ملجأ، عن من يشعر بألمه.

أحيانًا فقط تحتاج لمن تخبره، ليس ليحل لك العُقد، ولا ليتدخل بقوة خارقة، بل فقط تخبره لتشعر أنك لست وحيدًا.

فإن كنت سأنصحك بأمر فأرجوك كُن جانبًا مُطمئنًا لمن حولك، كن مخرجًا لهم، وأخبرهم دائمًا إن ربي لطيف، وإن لُطفه عاجل.

الخاتمة

حرصت في هذا الكتاب أن أكتب دون تكلُّف، أن أقول ما في قلبي، ليصل إلى قلوبكم.

ثم من قال إن الكتابة محصورة على من هم تجاوزوا الأربعين؟ ومن قال لك إن الخبرات حكر على عمر معين؟ وقد رأينا وتعلمنا في سنة ٢٠٢٠ ما لم نتعلمه في عدة سنوات مُجتمعة.. ألم نتعلم الدرس؟!

علي الطنطاوي -رحمه الله- كان يكتب وهو في الخامسة والعشرين من عمره، وإذا قرأت له تظن أنه شيخ في الخمسين من عمره..

وكان يبعث مقالاته لمجلة الرسالة، أشهر مجلة في عصرها، وتكون مقالاته بجوار عظماء ذلك الزمان مثل الرافعي، والعقاد.

ثم إن العمر ما هو إلا مجرد رقم، والإنسان يُقاس بمقدار التجارب التي خاضها، فإن كانت الحياة عصفت بك مبكرًا وعلمتك الدروس وأنت في سنٍّ مبكرة فإنك لا تُقارن بمن تعلم الدرس في عمر مُتأخر.

كم رأينا من أشخاص، من هو لم يتجاوز منتصف العقد الثاني من العمر، وهو مدير مشروعه الخاص، أو من استطاع تحقيق أرباح من أسواق الأسهم. ومن هو عائل أسرته الوحيد، أسألك هل تُقارن الخبرات والتجارب التي لديه بمن سواه؟!

هل تُقارن من أتم حفظ القرآن الكريم وهو لم يتجاوز العاشرة من عُمره.. بمن لا يقرؤه سوى في شهر رمضان؟!

حتمًا ستكون مقارنات ساذجة ولا معنى لها، لذلك أخبرتك أن العمر مجرد رقم، اعلم أنه كُلما عاش الإنسان في هذه الحياة استطاع أن يفهم أكثر ويكون أكثر حكمة، ولكن أيضا هناك من هم تعلموا الدروس مبكرا.

وفي قول الله تعالى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأحقاف: ١٥]

قال بعض المفسرين إن المقصود بها بلوغ عمر الثلاث وثلاثين سنة.

وقال آخرون: هو بلوغ الحُلم.

ومعنى الحُلم: الحلم إذا كتبت له الحسنات، وكتبت عليه السيئات.

كتبت هذا الكتاب من قلبي ووددت أن يصل ما فيه لقلوبكم قبل مسامعكم.

إن استطعت أن أمسح على قلبِ أحدكم، أو أفدتكم بمعلومة واحدة من هذا الكتاب، فعلمت أن لُطف الله يُحيطنا دون أن نُحيطه، وأن الله لطيف بعباده، وأن الفرج آتٍ لا محالة، فإني راضٍ.

فإن أجدت في توصيل هذه المعلومات من خلال كلماتي في الكتاب، فإني والله قد رضيت عن ما قدمت، والحمد لله على هذا وكفى.

كما أود القول إن جزءًا من أرباح هذا الكتاب ستذهب لوقف خيري.. فأنت حينما تشتري هذا الكتاب -أيًّا كان سعره- فأنت شريك في الوقف الخيري..

أسأل الله أن يتقبل منا ومنكم وأن يجعل ما قدمنا شاهدًا لنا لا علينا.

للتواصل بشأن كتاب

(إن ربي لطيف)

والاقتراحات:

Book.for.9Li9@gmail.com

فهرس